

## تركيب الندبة في المنظومة اللسانية العربية

د. ليلى كادة

جامعة محمد خيضر - بسكرة

### الملخص:

يسعى هذا المقال إلى الوقوف على تركيب الندبة انطلاقاً من جملة من الأسئلة لعل أهمها :

هل يعد تركيب الندبة من قبيل النداء المحمول على الإنشاء الطلبي، أم هل يستقل بتركيبه، ولا يحمل على غيره، فيكون لزاماً دراسته على أساس كونه أسلوباً إنشائياً إفصاحياً لا طلبياً؟ وبم يتقوم وجود هذا التركيب؟ وما صورته؟ وما طبيعة الأحكام التي يمكن سوقها في بابه؟

**الكلمات المفاتيح: النادب، المندوب، اللغة الانفعالية، انفعالات المتكلم، الوظيفة التأثرية.**

### Résumé

Cet article tente de mettre l'accent sur la conception d'"Elnoudba" à partir de

Importantes dont les plus tant questions

importantes sont les suivantes

Qu'est ce qu'on entend par cette conception ?

Quelles sont ses différentes formes?

### توطئة:

المرء في غمرة حياته من المهد إلى اللحد بين لحظة تثلج الصدر وتغبطه، وأخرى تفتح القلب وتمزقه، فينرفد ما ويعتصر ألماً، وإنها الأبعد غورا والأعظم أثراً في النفس البشرية على الإطلاق، إذ تترك بصماتها جلية على مساحة الشعور، وتخط أحرفها غير خفية بين تلافيف الذاكرة، مع ما يصحب ذلك كله من مشاعر دافقة طافحة تغمر صاحبها، فتزعزع كيانه، وتزلزل بنيانه، فلا يستطيع لها رداً، ولا يقوى على أن يضع لها حداً، ولا يجد من التنفيس عنها بداً، فيصطرخ حيناً، ويذرف الدمع حيناً آخر، وقد تنفسح على قدر طاقتها، وتبلغ مداها، فتضطره إلى الإفصاح عنها؛ إما بأصوات وصرخات نازفة، وإما بتركييب واصفة، لعل أظهرها في هذا الباب تركيب الندبة الذي هو الصق بالنساء لضعفهن، وقلة احتمالهن للشدائد والمحن.<sup>(1)</sup>

فيا ترى : بم يتقوم وجود هذا التركيب؟ وما صورته؟ وما طبيعة الأحكام التي يمكن

سوقها في بابه؟

لعل من متطلبات الإفادة ضبط مصطلح الندبة على أوضاع النحويين، وفي سبيل

درك هذا الغرض يكون أجدى تقصي أبعاد لفظه عند اللغويين.

## 1 . الندبة على أوضاع اللغويين:

تسوق المعجمات اللغوية في مادة (ن/د/ب) مجموعة من المعاني التي تكاد تسبح في مدار المعنى الاصطلاحي، منها:

1 - الأثر: فقد جاء (لسان العرب)<sup>(2)</sup> أن " الندبة أثر إذا لم يرتفع عن الجلد والجمع ندب وأنداب وندوب، وكلهما جمع الجمع، وقيل: الندب واحد والجمع أنداب وندوب... " ، ومنه ترى النداب كأنه يذكر أثر من مضي<sup>(3)</sup> .

2 . البكاء على الميت: يقال: ندب فلان الميت، إذا بكاه وذكر محاسنه وعدد مناقبه.<sup>(4)</sup>

3 . الدعوة والترشيح لقيام بالأمر والحث عليه،<sup>(5)</sup> ومنه فإن الندوب بلغة مكة هو الرسول.<sup>(6)</sup> وليس بخفي أن هذه المعاني الثلاثة تتردد عند النحاة في سبيل ضبطهم مصطلح الندبة على نحو ما يتضح:

2 . الندبة على أوضاع النحويين: الندبة في اصطلاح النحويين " نداء موجه إلى المتفجع عليه حقيقة أو حكما أو إلى المتوجع منه"<sup>(7)</sup> ، وقد عبر سيبويه عن هذا المعنى بأن المندوب مدعو على سبيل التفجع عليه.<sup>(8)</sup> وشرحه السيرافي بقوله: " الندبة تفجع ونوح من حزن وغم يلحق النداب على المندوب عند فقده، فيدعوه وإن كان يعلم أنه لا يجيب لإزالة الشدة التي لحقته لفقده...ولما كان المندوب ليس بحيث يسمع احتيج إلى غاية بعد الصوت، فألزموا أوله يا أو وا، وآخره الألف في الأكثر من الكلام؛ لأن الألف أبعد للصوت، وأمكن للمد"<sup>(9)</sup> . وقيل: هي ضرب من النداء قوامه التفجع والتحسر على المتوجع له، أو إظهار الألم من المتوجع منه<sup>(10)</sup> .

ومجموع هذه الحدود تنبئ بوضوح عن مدى أخذ دلالات هذا المصطلح بأعناق الدلالات اللغوية؛ ذلك أن الندبة في الأنموذج النحوي التراثي قائمة على أساس من التفجع والتوجع، وكلاهما داع إلى البكاء، وباعث عليه، وليس بخفي ما ينجر عنهما من آثار نفسية دفيئة تترك بصماتها منقوشة على مساحة اللاشعور.

والمندوب -أيضا- مدعو عند النحويين على جهة كونه منادى. وبهذه المعاني الثلاثة تؤسس الدلالة اللغوية للدلالة المصطلحية. وحدّ الندبة بهذا الشكل قوامه درك القيمة الانفعالية لهذا التركيب، إلا في نقطة واحدة تكاد تعصف بالمفهوم، وتنحرف به عن وظيفته التعبيرية التي استخلص لها إلى وظيفة انتباهية هو منها براء.

فمن التعسف حمل هذا التركيب على محمل التركيب الندائي لمجرد الشراكة في البنية السطحية الظاهرة، فهذا نهج يصدر عن النظر إلى الأشكال لا إلى الوظائف التي هي أولى بالنظر والتتبع.

فمن المعلوم أن المعنى الوظيفي الواحد قد يصاغ بمبان متعددة، كما أن المبني الواحد قد تتعدد وظيفته، ولا يترجح المقصود منه آنذاك، إلا بتضافر قرائن شتى تمحضه

لأداء غرض دون آخر، يتم ذلك على مستوى الأبنية المفردة والمركبة على حد سواء؛ أي: على مستوى المفردات والتراكيب بلا استثناء.

الحقيقة أن النحاة أدركوا هذا التعدد، إلا أنهم حملوه على مبدأ الأصلية والفرعية؛ فجعلوا للتركيب الواحد معنى أصليا ومعاني أخرى هامشية فرعية، وحملوا الفرع على الأصل بطريقة تحكيمية لا تبرأ من المزالق، ولا تخلو من الاعتراضات؛ لأنها تغمض الغرض الذي من أجله أنشئ التركيب، كما تضطرهم أحيانا إلى إقحام ما لم يعنه المتكلمون في سبيل تسوية صناعتهم الإعرابية القائمة على أساس من هذا الغرض. ولعل الأمر يكون أدهى وأمر إذا تعلق بالنص القرآني الذي لا تأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فعجيب أن نتأوله بإقحام معان وألفاظ وإرضاء للقاعدة المصنوعة التي كان الأحق بها أن تكون تابعة للمنطوق لا متبوعته!

فالندبة في حقيقتها تؤسس لتركيب إفصاحي مستقل ومشحون بانفعالات المتكلم وفيض وجدانه، لا علاقة له - على مستوى الدرس الوظيفي - بالتركيب الندائي من قريب أو من بعيد، فلا جامع بينهما إلا الشكل الظاهر الذي لا يمكن إيلاؤه العناية في التصنيف والتحليل، فالأسلم أن نجعل الرائد في هذا المجال البنية العميقة التي هي مسرح المعاني.

ففي تركيب الندبة لا يكون المرء إزاء أداة نداء ولا منادى، بل يكون أمام أداة ندبة ومندوب، وشتان ما بين الأمرين من الوجهة الوظيفية. فالقيمة الفارقة بينهما هي تلك التي تفصل بين اللغة الفاعلة، واللغة الانفعالية؛ فالنداء مسرحه الأولى، والندبة مسرحها الثانية. وقد أحس بعض النحويين بعدم وجهة نداء المندوب؛ لأنه لم يطلب إقباله، فتألوله على وجوه: فقيل: إن النادب لا ينادي منتظر جوابا، بل ليشهر ويشعر من حوله بمصيبته وتفجعه، وأنه وقع في أمر عظيم وخطب جسيم.<sup>(11)</sup> وقيل: إنه نداء مجازا لا حقيقة، فالقائل: يا محمدا، كأنه يقول له: أقبل فأني مشتاق إليك، وللقائل: واحزننا: احضر حتى يراك الناس فيعذروني فيك.<sup>(12)</sup>

ولا يضطرهم إلى هذا التأول داع ذو بال، فما أغناهم عنه لو أنهم انكفأوا إلى المعنى الوظيفي وجعلوا المبنى خدما له، ولاسيما أنهم أجازوا ندب المضاف لضمير المخاطب نحو: وا غلامك، مع منع ندائه!<sup>(13)</sup>

تحقيق القول أن الندبة تركيب غير إسنادي مفصح عن التفجع والتوجع، قوامه ركنان: أداة ندبة ومندوب لا تجعها علاقة إسنادية البتة، إلا على سبيل التوهم والتخيل.

### 3 - الخصائص التركيبية للندبة:

قيل: للمندوب حكم المنادي سواء بسواء؛ يضم إن كان مفردا، وينصب إن كان مضافا أو شبيها به.<sup>(14)</sup>

ولما كانت الندبة تفجعا على الهالك وجب ألا يندب إلا بأعرف أسمائه وأشهرها حتى يكون له عذره في التفجع، فإذا ما عرفوه عذروه، وشاركوه في التفجع، فتهون بذلك مصيبة.<sup>(15)</sup> وفي شأن ذلك قال البصريون: " والمقصود بالندبة أن يظهر النادب عذره في تفجعه على المندوب ليساعد في تفجعه فيحصل التأسي بذلك فيخف ما به من المصيبة، وذلك إنما يحصل بندبة المعرفة، لا بندبة النكرة"<sup>(16)</sup>

في حين، وبما أن المندوب لا يجيب، أجاز الكوفية ندبة النكرة والأسماء الموصولة نحو: واراكبا، وامن حفر بئر زمزماه، وحجتهم في ذلك أن الاسم النكرة يقرب من المعرفة بالإشارة، ومن ثمة جازت ندبته كالمعرفة. في حين أن الأسماء الموصولة معارف بصلاتها، كما أن أسماء الأعلام معارف، ومثلما يجوز ندبة أسماء الأعلام يجوز ندبة ما يشبهها.<sup>(17)</sup> والمندوب هو المذكور بعد (يا) أو (وا) تفجعا لفقده، أو توجعا لكونه محل ألم أو سبه.<sup>(18)</sup> وعلامة الندبة (وا) أو (يا) في أوله و(الألف) و(الهاء) في آخره<sup>(19)</sup>، فتذكر الواو أو الياء في أول الاسم، والألف والهاء في آخره، كقولنا: يا زيداه، ووعمراه، فالمندوب لا يسمع النادب؛ لذلك كان لزاما على هذا الأخير أن يضيف الألف والهاء مدا للصوت؛ ليكون في ذلك دلالة على حزن الفاقد. ويصح أن تعامله معاملة المنادى فلا تمده فتقول: يا عمر، ووامحمد.<sup>(20)</sup> والألف التي تلحق المندوب تفتح كل حركة قبلها مكسورة كانت أو مضمونة بحكم أنها تابعة للألف، أما ما قبل الألف فلا يكون إلا مفتوحا.<sup>(21)</sup>

فالتعبير عن مشاعر الأذى والحزن إزاء المندوب تفرض أن يمد المتكلم من صوته؛ لينفخ عن مشاعره عسى أن يدرك منه السامع أنه حزين ومتألم. فالسياق والتغيم والمشاعر عناصر رئيسة في هذا الأسلوب؛ إذ تساهم جميعها في إظهار دلالاته التأثرية الانفعالية، ومن ثمة يكون مصدرا بلفظ (وا)، ونادرا ما تستعمل معه (يا) لأمن اللبس بالمنادي، كأن يندب ميتا اسمه زيد، وفي المجلس من اسمه زيد، فهذا لبس يمنع استعمال (يا) على الإطلاق.<sup>(22)</sup>

فلا شك أن في استطالة الصوت في آخر الاسم المندوب تعبيراً عن الحزن والألم الشديدين الذين يلحقان النادب إثر الفاجعة التي ألمت به، فينفجر إحساسه وانفعاله؛ ليدرك السامع أن المتكلم في أقصى درجات الحزن والألم. أما ما يجوز ندبته فيقول ابن مالك:<sup>(23)</sup>

**ويندب الموصول بالذي اشتهر كبئر زمزم يلي وا من حفر**

وقد شرحه الأشموني فقال: " ويندب الموصول بالذي اشتهر اشتهاها بعينه ويرفع عنه الإبهام (كبئر زمزم) يلي ( وامن حفر) في قولهم : وامن حفر بئر زمزماه، فإنه بمنزلة واعبد المطلبا"<sup>(24)</sup>

فلا يندب الاسم النكرة، ولا اسم الإشارة، ولا الموصول المبهم، ولا اسم الجنس المفرد، فهي غير دالة على المندوب دلالة تبيين بها عذر النادب،<sup>(25)</sup> كما لا يندب الضمير.<sup>(26)</sup> أما ندبة المثنى ويحي وما شابه ذلك من المقصور من غير إضافة، فتقتضي حذف ألف الأصل لالتقاء الساكنين، فتقول: وامئناه ووايحياء.<sup>(27)</sup>

أما إذا ذكرت مع المندوب صفة، نحو: وازيد الطريف، فتلكم مسألة أخلاقية بين البصرية والكوفية تتعلق - أساسا - بجواز استلحاق الندبة بالصفة؛ فالكوفيون يبيحون أن تلقى علامة الندبة على الصفة نحو قولنا: وازيد الطريفاه، وهو مذهب يونس بن حبيب البصري (ت 183هـ) وأبي الحسن ابن كيسان، وحجتهم في ذلك أن الندبة تلحق المضاف إليه نحو: واعبد زياده، وغلام عمراه، فلما كانت الصفة مع الموصوف بمنزلة المضاف مع المضاف إليه، جاز أن تلحق الندبة بالصفة، وقد استدلووا على ذلك بما يروى عن بعض العرب عندما ضاع منه جمجمتان، أي: قد حان، فقال: واجمجمتي الشاميتيناه، فألحق علامة الندبة بالصفة.<sup>(28)</sup>

وفي حين يذهب البصريون إلى عدم جواز ذلك،<sup>(29)</sup> فإذا ذكرت مع المندوب صفة، نحو: وازيد الطريف، لم يجز أن تقول: وازيد الطريفاه على مذهب الخليل؛ لأن الطريف غير منادى على غرار المضاف والمضاف إليه، فهما بمثابة اسم واحد نحو: وأمير المؤمنيناه، وواعبد قيساه، أما الصفة والموصوف فليسا كذلك.<sup>(30)</sup>

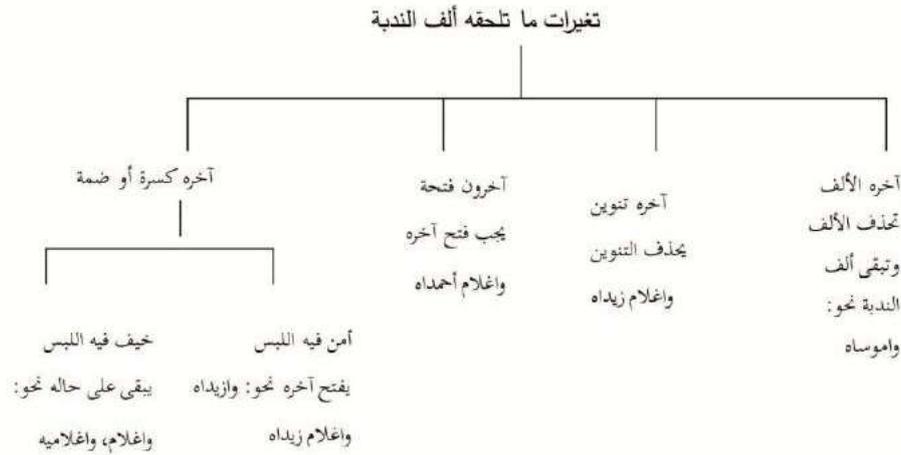
أما إذا كان آخر اللفظ ألفا، فقد أجاز الكوفيون قلبه ياء مع الحذف أيضا، وإبقاء التنوين للمنون، وفتح أو كسره، في حين أجاز الفراء الكسر مع الحذف أيضا، فتقول: وازياده، وازيدينه، ووازيدانيه، وواقام الرجلاه، وقام الرجلوه، وواعبد الملكاه، وواعبد الملكيه، وواموسياه، وواموسياه، ووازيدانيه، ووازيدوناه، ولا يجوز إثبات هذه الواو إلا في الوقف خلافا للفراء.<sup>(31)</sup>

في حين ذهب آخرون إلى أنه إذا كان آخر ما تلحقه ألف الندبة فتحة، لحقته ألف الندبة دون أي تغيير لها؛ فتقول لها: واغلام أحمداه. أما إذا كان سوى ذلك، وجب فتحه مخافة اللبس مثل: واغلامهوه، واغلامكية وأصله: واغلامك بكسر الكاف، واغلامه بضم الهاء، فيجب قلب ألف الندبة بعد الكسرة ياء وبعد الضمة واو؛ لأنه إذا ترك ذلك وحذفت الضمة والكسرة وأوتى بألف الندبة نحو: واغلامكاه، وواغلامهاه، لالتبس المندوب المضاف إلى ضمير المخاطبة بالمندوب المضاف إلى ضمير المخاطب، ولالتبس - أيضا - المندوب إلى ضمير الغائب بالمندوب المضاف إلى ضمير الغائبة.<sup>(32)</sup>

وقد علق إبراهيم السامرائي على هذا الكلام بأسلوب متهمك قائلًا: "لا يخيل أن النحوي قد استقرى العربية فوجد هذه النماذج، وما أظن أن شيئاً من هذا جرى على ألسنة أهل العربية. وكأن الناطق بالعربية على هذا المنطق النحوي مفكر يتعلم اللغة تعلمًا فهو

ينتقل من تركيب لفظي إلى آخر خشية حدوث الالتباس<sup>(33)</sup> بل كأن النحاة هنا منوطه بهم صناعة الكلام لا تفسيره، فهم ينشئون بعقولهم النماذج التركيبية التي لم تملكها الألسنة، ولم تتداولها الاستعمالات، حتى يخيل إليك أن هذا المشغل من وظيفة النحو لا الناطق العربي، وإن هذا إلا تحكم محض يفسد اللغة ويربكها، وحسبك دليلاً أن بعض ما صنعوه يبعث على الضحك والسخرية لا على التفجع أو التحسر، نحو: واغلاموه، فاللاحقة (هوه) قد تكون مطابقة لما يصدر عن الضاحك من أصوات، يقول عبد السلام محمد هارون في هذا الصدد: " وقد اتخذ النحويون من هذا الباب مجالاً للتخيل والتصوير، فافترضوا أساليب وصوراً أصدرها فتاوى دالة على سعة الخيال..."<sup>(34)</sup>

ويمكن سوق التغييرات التي تلحق ألف الندية في المخطط التالي الذي أورده تمام حسان في " خلاصته"<sup>(35)</sup>



**خاتمة:** محصول الحديث أن الندبة تعبير عن مشاعر المتكلم وعواطفه اتجاه موقف صعب فهي ترتبط بسياق معين وتنغم صوتي يناسب هذه المشاعر، وهو ما يجعلها تنماز عن النداء. فالندبة جملة إفصاحية تغلب عليها الوظيفة الانفعالية التأثرية؛ نظرا لما تتضمنه هذه الأساليب من طبيعة الإفصاح الذاتي عن مشاعر المتكلم وانفعالاته.

### الهوامش:

- (1) اللع في العربية، ابن جني، -تحقيق: حامد المؤمن - عالم الكتب ومكتبة النهضة المصرية - ط2-1405 هـ 1985م، ص181؛ أسرار العربية، أبو البركات الأنباري - تحقيق: فخر صالح قدارة - دار الجيل - بيروت - ط1، 1415 هـ 1995م، ص220.
- (2) لسان العرب، ابن منظور، دار صابر للطباعة والنشر - بيروت، ط1، 1995م، 6/160.
- (3) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: علي الشنتيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1414 هـ 1994م. 2/425.
- (4) المصدر نفسه؛ ومحيط المحيط، بطرس البستاني - مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1987، ص885.
- (5) محيط المحيط، ص885.
- (6) تاج العروس، 2/427.
- (7) موسوعة الحروف العربية، إميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط2، 1995م، ص482.
- (8) الكتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت - ط1 (د.ت) 2/220.
- (9) المصدر نفسه (الهامش).
- (10) الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط5 - 2001م، ص146.
- (11) اللع في العربية، ص181؛ وأسرار العربية، ص222.
- (12) حاشية على شرح ابن عقيل، محمد الخضري علي - دار احياء الكتب العربية - (د.ت)، ص81.
- (13) المصدر نفسه.
- (14) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي - تحقيق: عبد العال سالم مكرم - دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع - الكويت - 1399 هـ 1979م، 3/66. ومناهج الصواب في علم

- الإعراب، ابن رحمة الحويزي - تحقيق: عبد الرحمان كريم الامي - دار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع - عمان الأردن - ط1 - 2002م، ص166.
- (15) اللع في العربية، ص181؛ وأسرار العربية، ص220؛ والتبصرة والتذكرة، 362/1.
- (16) الإنصاف في مسائل الخلاف، 363/1.
- (17) المصدر نفسه، 362/1.
- (18) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك - تحقيق: محمد كامل بركات - دار الكتاب العربي - القاهرة - 1387هـ. 1967م، ص185.
- (19) أسرار العربية، ص220.
- (20) الكتاب، 220/2؛ وشرح ألفية ابن مالك، الأشموني - تهميش: حسن حمد - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط1، 1419هـ 1998م، 57/3.
- (21) دروس في المذاهب النحوية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص57.
- (22) همع الهوامع، 66/3؛ و الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص146-147.
- (23) الألفية، ص46.
- (24) شرح الأشموني، 53/3.
- (25) شرح ابن الناظم، ص420.
- (26) الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص147.
- (27) التبصرة والتذكرة، 364/1.
- (28) الإنصاف، 364/1-365.
- (29) المصدر نفسه.
- (30) التبصرة والتذكرة، 364/1.
- (31) الموفي في النحو الكوفي، صدر الدين الكنغزالي الاستانبولي - شرح: محمد بهجت البيطار - مطبوعات المجمع العلمي - دمشق - (د.ت)، ص70.
- (32) النحو العربي: نقد وبناء، ص114-115.
- (33) المرجع نفسه، ص115.
- (34) الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص148.
- (35) ص149.

## أثر تفاعل مكونات اللسان العربي في بناء المعنى في الخطاب القرآني

د. حسن بدوح

جامعة الحسن الأول

مختبر البحث في اللغة والأدب والبيئة

سطات، (المغرب)

### ملخص المقال:

النص القرآني وحدة نسقية. يتطلب الكشف عنها، النظر إليه من خلال أبعاد ثلاثة هي:

- 1 - البعد المقاصدي: المرتبط بالعقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والسلوك.
- 2 - البعد اللغوي: المرتبط بمكونات اللسان: الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية، ثم التداولية.

3 - البعد الجمالي : ويرتبط بالتكامل بين مكونات اللسان في بناء المعنى القرآني.  
كيف تتضافر مكونات اللسان العربي – الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية، والتداولية – لحمل تلك الأبعاد إلى الناس؟

### Résumé

Le texte coranique est une unité systémique. sa compréhension exige une vision ou lecture tridimensionnelle à savoir :

**1-** la dimension intentionnelle : tous ce qui est en relation avec les rites, la croyance, la foi , le comportement des musulmans, les pratiques, l'éthique ...

**2-** la dimension linguistique : en relation avec la langue , de point de vue phonétique , morphologique , syntaxe, sémantique et pragmatique.

**3-** la dimension esthétique ayant trait avec l'intégralité et complémentarité des composantes langagières dans la construction de sens coranique

comment se réunissent ses composantes de la langue arabe : phonétique , morphologique , syntaxe, sémantique et pragmatique pour apporter ses dimensions aux gents ?

## 1 - تفاعل مكونات اللسان العربي.

ما تزال الدراسات اللسانية تدرس مكونات اللسان، في أي لغة من اللغات، متفرقة، ومنفصلة عن بعضها. و يعود سبب ذلك، بالأساس، إلى ميل اللسانيين للتخصص وربما إلى التخصص الدقيق داخل التخصص العام. و يندر أن نجد دراسة لسانية لظاهرة من الظواهر اللغوية تتسم بالشمولية؛ حيث تتفاعل كل حقول البحث لتفسير ظاهرة لغوية في كل جوانبها في الآن نفسه.

و لذلك، فمن اللازم على اللساني أن يدرك تمام الإدراك مدى العلاقة والارتباط بين مختلف مكونات اللسان: الصوتية والصرفية والتركييبية والدلالية والتداولية. وهذا يعني:

1- أن الفصل بين مكونات اللسان في الدراسات اللسانية عملية منهجية وإجرائية فقط تتعلق بمعرفة العلم لذاته، وليست هدفا بذاته؛ لأن الممارسة الواقعية للكلام لا تعرف هذا الفصل والآن استحال إنجاز الكلام.

2- يجب البحث عن أثر تفاعل مكونات اللسان المختلفة والمتكاملة في معالجة أية قضية لسانية. وهذا يستلزم أنه لا ينبغي الفصل بين مكونات اللسان فصلا ينبئ عن استقلال أي واحد منها والاكتفاء به في معالجة أية قضايا لسانية.

لو أنعمنا النظر في في هذه الكلمات : اطَّرب ، واضطرب، واطظلم واصطبر، لتبين لنا بشكل جلي مدى التعالق بين الكونين الصوتي والصرفي؛ فأصل تلك الكلمات: اطترب، واضترب، واطظلم، واصتبر. ولدراسة هذه الظاهرة الصرفية، في اللسان العربي، دراسة دقيقة يجب الاعتماد على القوانين الصوتية، وأخذها في الحسبان؛ فالتاء تحول (تبدل) طاء في سياق وقوعها بعد حروف الإطباق في صيغة / افتعل / . وكذلك الأمر في مثل : قال وباع فأصلهما : قَوْلَ وَبَيْعَ ، ولكن الواو والياء تقلبان ألفا إذا كانتا مسبوقتين بمصوت الفتحة وبعدهما مصوت واجب الحذف. يقول ابن جني في هذا السياق: " قال أبو عثمان: هذا باب ما تقلب فيه تاء افتعل عن أصلها، ولا يتكلم بها البتة كما لم يتكلم بالفعل من "قال" و "باع" وما كان نحوهن على الأصل. وذلك أنك إذا قلت " افتعل " وما تصرف منه، وكانت الفاء: صاد، أو ضادا، أو طاءً، أو ظاءً؛ فالتاء فيه مبدلة. وذلك قولك: " اصْطَبِرْ، ويصطبر ومصْطَبِرْ، واصْطَرَبْ، يضطرب فهو مضطرب، واطَّلَعْ فهو مُطَّلَعٌ، واصْطَهَرَ فهو مُصْطَهَرٌ " فهذا الكلام الصحيح.

قال أبو الفتح: (...) والعلة في أن لم يُنطَقْ بتاءٍ " افتعل " على الأصل إذا كانت الفاء أحد الحروف التي ذكرها - وهي حروف الإطباق - أنهم أرادوا تجنيس الصوت، وأن يكون العمل من وجهٍ، بتقريب حرف من حرف<sup>1</sup>.

فمسائل الإعلال والإبدال في أمس الحاجة إلى معرفة جيدة بالأصوات العربية للاسترشاد بها في تحليلها إذا أردنا أن نعالجها معالجة لسانية صحيحة. وهناك تخصص جديد في

الدراسات اللسانية يمزج بين المكونين الصوتي والصرفي في التحليل اللساني يعرف بالتحليل الصوتي - الصرفي (morphophonemic analysis).

والشيء نفسه يكمن أن نلاحظه في الدراسة التركيبية (النحوية)؛ فهي لا تتم في صورتها المثلى ما لم يراع في دراستها التنغيم ( intonation ) والنبر (stress)، وغيرها من أنماط التطريز الصوتي (prosodies) التي يعتمد عليها التركيب في تحليل بعض مسأله وتفسيرها. فالتنغيم مثلا عامل مهم في تصنيف أنماط تراكيب الجمل، من إثباتية واستفهامية وتعجبية... بالرغم من افتقار الجملة إلى أدوات صرفية، من شأنها أن تساعد على تحديد نوعها كأدوات الاستفهام وصيغتي التعجب.

وفي الكثير من الأحيان، يكون التنغيم هو الفيصل في تحديد المعنى المقصود من الجملة الاستفهامية، حينما تخلو هذ الجملة من أدوات الاستفهام، أو حينما تشتمل الجملة على أداة استفهام، ولكنها خرجت عن الدلالة الأصلية إلى دلالة ضمنية يحددها المقام التداولي. ومثال ذلك: أن يتلفظ المتكلم بهذا الملفوظ في مقام يعز فيه وجود المعين:

- هل لي من معين؟

ليس المقصود هنا السؤال وإنما التمني:

- أتمنى معينا.

- ليت لي معينا.

أما بالنسبة للمكون الدلالي فيمكن أن نلاحظ في عدد من مفردات اللغة العربية أن تغيير الأصوات المصوتة القصيرة و الطويلة تساهم في إثراء مفردات المعجم العربي ومثال ذلك:

- الخُطبة (بضمّ الخاء): الكلام المنثور، يُلقيه الخطيبُ على الناس.

- الخُطبة (بكسر الخاء): طلب المرأة للزواج.

- الخُصْلة (بضمّ الخاء): الشَّعْرُ المجتمع جمعها (خُصْلٌ).

- الخُصْلة (بفتح الخاء): صفة في الإنسان ذميمة أو حميدة، وجمعها (خُصال).

- العَنَان (بفتح العين): السَّحاب وما يبدو للنَّاطِر منها (أعنان السماء).

- العِنان (بكسر العين): لِجام الفرس، وجمعها (أعنة).

- الفَطْر (بفتح الفاء): الشَّقُّ.

- الفَطْر (بكسر الفاء): الإفطار، وعيد الفِطْرِ.

الفَطْر (بضمّ الفاء): النَّبات المعروف.

- الكَلْفُ (بفتح اللام): النَّمَشُ في الوجه.

- الكَلِفُ (بكسر اللام): العاشق المُحِبُّ.

- اليرُّ (بكسر الباء): الطَّاعة.

- البرُّ (بضم الباء): القَمْحُ.
  - البرُّ (بفتح الباء): ما انبسط من سطح الأرض، ولم يُغَطِّهِ الماء.
- و يكن تبين تفاعل مكونات اللسان واتصالها من خلال هذا الملفوظ، الذي يتلفظ به المتكلم موجها كلامه إلى مخاطب بعثه في مهمة وتأخر في مغادرة مكانه:
- أمازلت لم تذهب بعد؟
- ففي هذه الجملة تتفاعل كل مكونات اللسان : الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية، والتداولية، وتتصل في تكوينها وبناء معناها.

#### تعاقد المكونين الصوتي والصرفي:

- تتكون هذه الجملة من سلسلة من الفونيمات الحاملة في ذاتها لقيم خلافية تميزها عن غيرها. ويمكن أن نميز فيها بين الصوائت والمصوتات. والنسق العربي لا يقبل البدء بصامتين ساكنين ولا يقف على متحرك. كما يمكن أن ندرس السمات المميزة للفونيمات ونقول، مثلا، في فونيمات الجذر ( ذ، ه، ب): إن الذال: صوت أسناني ، رخو ، مجهور. والهاء: صوت حنجري، رخو، مهموس. والباء: صوت شفهي، شديد، مجهور.
  - تنتظم الفونيمات في مورفيمات وصيغ صرفية
  - لهذه السلسلة من الفونيمات والمورفيمات قالب إيقاعي تنتظم فيه: النبر والتنغيم.
  - احترمت السلسلة قواعد التأليف التي تستحسن تباعد مخارج الأصوات وتستقبح التقارب بينها في تكوين الكلمات.
- يتبين ما سبق تلازم المكونين الصوتي والصرفي؛ حيث ننتقل من الأول لنصل إلى الثاني.

#### - تعاقد المكونين الصرفي والتركيب:

- انتظام الأصوات في صيغ صرفية وكلمات، كما مر بنا ، في حاجة إلى عملية تدخل المكون التركيبي، لأننا لا نتواصل بكلمات مستقلة بذاتها ولكننا نتواصل بجمل ونصوص ... فبمساعدة التركيب تأخذ كل كلمة وظيفتها داخل الجملة ( الفاعلية، المفعول، ... ) بحسب نوع الجملة: فعلية، أو اسمية. ويتدخل المكون الصوتي(النبر والتنغيم) في تحديد دلالات الكلمات والجمل في مقامات محددة.

#### - تعاقد المكونين التركيبي والدلالي:

- يعمل المكون التركيبي على توزيع الكلمات ونظمها في جمل ، ومن خلال العلاقة التي تربط بينها يتدخل المكون الدلالي ليمنحها دلالة بالنظر إلى العلاقات التمثيلية القائمة بين

الكلمات والأشياء التي تمثلها، ويؤدي أي تغيير لمواقع الكلمات في الجملة بالتقديم أو التأخير... إلى تغيير دلالة الجملة ككل.

#### - تعاضد المكونين الدلالي والتداولي

يحصّر المكون الدلالي موضوعه في دراسة العلاقات التمثيلية القائمة بين العبارات الصحيحة نحويًا والأشياء التي تمثلها تلك العبارات. أما المكون التداولي فقد وجه بحثه إلى دراسة العلاقات التي تنشأ- أثناء الكلام- بين العبارات ومستعملها، بعد أن تكون تلك العبارات قد استوفت شروط الصحة النحوية والمقبولية الدلالية. ويستند المكون التداولي في تحديد معاني الملفوظات على المقام التداولي وعلى الاستدلال العقلي لتحديد مقاصد المتكلمين التي عادة ما تتجاوز الدلالة المعجمية للكلمات إلى معاني يقتضيها المقام التداولي.

ففي هذا الملفوظ السابق ذكره:

- أما زلت لم تذهب بعد؟

فإن المخاطب، واعتمادًا على المقام التداولي، سيستدل على أن المتكلم لا يسأله لأنه عارف بمضمون الجواب وإنما قد يقصد الاستبطاء أو الأمر...

واضح مما سبق، أن العلاقة بين مكونات اللسان قائمة على التعاضد والتفاعل. وهذا يمنحها نظامًا يتمكن الناس، من خلاله، من التواصل والتفاهم.

#### 2 - أثر تفاعل مكونات اللسان العربي في بناء المعنى في الخطاب القرآني.

يمكن قراءة القرآن الكريم وتدبره، باستعمال الأدوات اللسانية الحديثة شريطة احترام هذه القراءة لخصوصيات القرآن الكريم وتحقيق مقاصده ككتاب هداية، يبين للناس ما يحق لهم الصلاح في الحال والفلاح في المآل.

يمكننا تحليل الخطاب القرآني من خلال محورين هما: المحور المركبي، والمحور الاستبدالي. فعلى مستوى المحور الاستبدالي paradigmatique فالكلمات خارج الخطاب ترتبط فيما بينها على مستوى الذاكرة بقواسم مشتركة في شكل مجموعات تحكمها علاقات مختلفة. وهي علاقات تقوم على صلة الكلمة (الجملة، الآية) الحاضرة في الجملة ( الآية، السورة) بغيرها من الكلمات الغائبة عنها والمترابطة معها وهذا ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن، وتأويل القرآن بالقرآن.

ونهتم في المحور المركبي syntagmatique بالعلاقات النحوية التي تربط بين الكلمات داخل الخطاب بفعل الطبيعة الخطية لفعل التلفظ (القول). ففي النص القرآني تتراكب الكلمات في الجمل، والجمل في الآيات، والآيات في السور، والسور في القرآن. وهذا يمنح القرآن تماسكه.

ويمكن استثمار ما سبق ذكره: المحورين المركبي والاستبدالي، والمكونات اللسانية السالف ذكرها، لتبين تجليات تعاضد مكونات اللسان العربي، في بناء المعنى في الخطاب

القرآني. وسنأخذ نموذجا للتطبيق من قوله تعالى: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمُّ بَكُمْ عَمِي فَهَمُّ لَا يَرْجِعُونَ (18)"<sup>2</sup> وليكن منطلقنا قوله تعالى: "صُمُّ بَكُمْ عَمِي فَهَمُّ لَا يَرْجِعُونَ".

يمكن النظر إلى الفونيمات (المكون الصوتي) المكونة للكلمات الثلاث الأولى ودراستها من حيث سماتها المميزة:

#### 1- الصوامت:

- ص: صامت، رخو، مهموس، صفيير، استعلاء، إطباق
- م: صامت، شفهي، متوسط، مجهور، أنفي
- ب: صامت، شفهي، شديد، مجهور
- ك: صامت، طبقي، شديد، مهموس
- ع: صامت، حلقي، رخو، مجهور
- ي: شبه صائت (شبه صامت)، غاري، متوسط، مجهور

ويمكن التوقف عند بعض الدلالات التي تحملها بعض هذه الفونيمات (تعاضد المكون الصوتي والمكون الدلالي) وربطها بالمعنى الأساس والكلي للآية؛ ولنأخذ مثلا على ذلك الفونيمات الأولى لهذه الكلمات أي: الصاد والباء العين. وهذه السمات المميزة لكل فونيم قد تساعدنا في الكشف عن معاني هذه الكلمات وعن معنى الآية ككل<sup>3</sup>، لأن المعنى هو محور الأهتمام في جميع العلوم التي تهتم بدراسة مكونات اللسان: الصوتيات (الفونيتيقا) و الصوتيات (الفونولوجيا) و الصرف والتركيب و علم الدلالة و التداولية.

وبالرجوع إلى السمات السابقة الخاصة بفونيم (الصاد)، فسنجد أن صفات القوة فيه أكثر أي: (صفيير، استعلاء، إطباق). وسمة الصفيير تدل لغة: على التصويت بالفم والشفيتين<sup>4</sup>. واصطلاحا: على الصوت الملازم لحروف الصفيير (ص، ز، س) ويدل على قوتها في السمع. فصوت الصاد إذن، يحمل، من الناحية الإيحائية والسميائية، دلالة تتناسب مع معنى التصويت و حاسة السمع المعطلة في هذا المقام (المنافقون).

وقد ذهب ابن جني إلى إمكانية التعرف على دلالة الكلمة، ولو جزئيا، من خلال أصواتها حتى وإن لم تكن من أهل اللغة. و مثال ذلك الفرق بين (الخضم) و (والقضم)، فرغم دلالتهما على الأكل، غير أن الخضم لأكل الرطب والقضم لأكل الصلب<sup>5</sup>. ويمكن تبين ذلك أيضا في تحليل القصائد الشعرية؛ حيث يمكننا الربط بين الأصوات الأكثر حضورا في القصيدة وبين الغرض العام للقصيدة. فحينما يكتب الشاعر، مثلا، من استعمال الأصوات الصفييرية والمصوتات الطويلة، عادة ما يكون الجو العام في القصيدة ميالا إلى التعبير عن عاطفة جياشة وجو جنائزي وأنين ... ويساعدنا في ذلك أيضا إيقاع القصيدة (القافية، الروي، التفعيلة...).

وفي الكلمة الثانية(بكم): ففي فونيم (الباء) تطغى سمات القوة أكثر أي (شديد، مجهور، قلقله). والوقوف عند صفتي ( شفهي، وقلقة) في الباء فيه إحياء إلى النطق والفم؛ فالقلقلة تعني اجتماع صفة الشدة التي تمنع جريان الصوت، وصفة الجهر التي تمنع جريان النفس، وهاتان السماتان تسببان انزعاجا لجهاز النطق يعالج بالقلقلة. وتحقق حروف القلقله بالتباعد بين طرفي جهاز النطق بدل تصادمهما دون أن يصاحب ذلك انفتاح للفم أو ضم للشفتين أو انخفاض للفك السفلي. والباء من الأصوات الأولى التي ينطق بها جميع الأطفال بلا استثناء.

أما بالنسبة لصوت العين في الكلمة الثالثة: فمن سماته(حلقي، رخو، مجهور) ورغم أن سمات الضعف فيه أكثر ( رخو، مستفل، منفتح) إلا أن سمة الجهر التي تميزه عن الهاء (المهموس) تجعل من العين صوتا يتميز بالبروز والظهور. والتلفظ بهذا الصوت مفردا يحمل إشارة مباشرة إلى حاسة الإبصار وهي العين. كما أنه يعني، في أنظمة أخرى أشياء كثيرة لها ارتباط بحياة الإنسانية ذاتها: العين التي ينبع منه أساس الحياة وهو الماء، وعين الملكية إذا كانت من النقود والدرهم، وأعيان الناس، أي المتميزون منهم... فحرف "ع" في رسمه واسمه ، يعينان كل ذلك وأشياء أخرى.

تبين من خلال ما سبق، أن فونيمات( الصاد، والباء، والعين) التي تبتدئ بها الكلمات قيد الدراسة، تتميز بالظهور والبروز، وأنها من الناحية الإيحائية والسميائية، تحمل دلالات على معنى الكلمات الثلاث أو الحواس الثلاث، وتلك الدلالات والمعاني احتمالية لا ندعي قطعيتها.

## 2- الصوائت:

ويمكن تأكيد دلالات الظهور، والبروز، والشدة، والقوة التي بينهاها، من خلال سمات الصوائت، بشكل أكثر جلاء وتأكيذا، من خلال دراسة الصوت الصائتي الطاغي على التشكيل الصوتي للكلمات الثلاث، قيد الدراسة والتحليل، وهو الصائت الضمة. فمن الدلالات المعنوية للضمة وأسرارها البلاغية، أنها تنبئ عن التمكّن والقوة والدوام والثبات.

كما تدل على الجمع والقوة واللزوم كما يظهر من صيغة (فُعل) (تعا ضد المكون الصوتي والمكون الصرفي). وقد جعلت العرب الضمة علامة العمد لقلتها حيث لا يكون الفاعل إلا واحداً، والفتحة علامة الفضلات لكثرتها.

ومن السمات المميزة للصوت الصائت الضمة (خلفي، عال، مستدير)، ويتم إنتاجه عندما يرتفع اللسان خلف التجويف الفموي، حيث يكون إغلاقا دون إعاقة الهواء، كما تتدخل الشفتان في نطق هذا الصائت( طويلا كان أو قصيرا). والأصوات الخارجة من خلف التجويف الفموي تحتاج إلى جهد كبير لدفعها والنطق بها، وهذا مما أعطى الضمة القوة والشدة. فوجودها دليل على قوة الصوت والصيغة معا، وتأتي على مستوى التركيب مقرونة بالإسناد. ويتضح ذلك جليا في صيغة الكلمات الثلاث، وهي صيغة جموع كثرة، أحد أنواع جمع التكسير

على وزن فُعْلٌ، وهو جمعٌ لما كان صفةً مشبهةً، على وزن "أفعل" أو "فَعْلَاءَ"، مثل: أَحْمَرُ وَحَمْرَاءُ جمعه: حُمْرٌ، أَبْكُمْ وَبِكْمَاءَ ← بُكُمْ... ويفيد هذا الجمع تكثير القيام بالفعل (تعاضد المكون الصرفي والمكون الدلالي). والصمم: داء يحصل في الأذن يسد العروق فيمنع من السمع، وأصله من الصلابة، قالوا: قناة صماء، وقيل: أصله السد، وصممت القارورة: سددها. والبكم: أفة تحصل في اللسان تمنع من الكلام.. والعمى: ظلمة في العين تمنع من إدراك المبصرات، والفعل منها على فعل بكسر العين واسم الفاعل على أفعل وهو قياس الآهات والعاهات.<sup>6</sup>

### 3- المقاطع الصوتية:

المقطع الصوتي وحدة من وحدات الكلام، وغالبا ما يكون أكثر من صوت واحد وأصغر من كلمة كاملة.

تتكون كل كلمة من الكلمات الثلاث ( صُمُّ بُكُمْ عُمِي ) من مقطعين صوتيين متماثلين

يتكونان من: ص مص ص:

- صُمُّ : صُمُّ + مُنُّ

- بُكُمْ: بُكُّ + مُنُّ

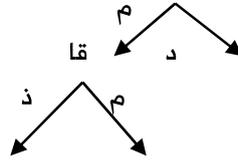
- عُمِيْن: عُمُّ + يِنُّ

ويتميز هذا المقطع بـ:

- التشابه في البنية: ص مص ص، وهذا التشابه في بنية مقاطع الكلمات يوحي بدلالات مرتبطة بسياق الحديث عن المنافقين؛ فالتكرار يفيد التأكيد والاستمرار وهذا ما يستفاد من تتابع الصفات دون عطف لوجود الصفات مجتمعة فيهم واستمرارهم في الضلالة، والدليل قوله: " فهم لا يرجعون" أي: عن الضلالة. فالتكرار هنا إذن ظاهرة موسيقية (إيقاعية) ومعنوية تهدف إلى الإقناع من خلال إلباس الصيغة إيقاعات نغمية متكررة جميلة تهدف إلى استمالة السامع.

- هو مقطع مغلوق لأنه ينتهي بصامت: وقد يمنحنا هذا أيضا إشارة إيحائية وسميائية مفادها أن الله قد أغلق قلوب الكفار والمنافقين، وختم عليها وعلى أسماعهم وجعل على أبصارهم غطاء فلا يرون آيات الله في الكون ليتعظوا بها، ويؤمنون بالله وبوحدانيته ولو ادعوا ذلك نفاقا. وهذا ما نجده في سورة البقرة نفسها يقول الله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8)"<sup>7</sup>. وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم " أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله والطبع. فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر عنها مخلص"<sup>8</sup>.

- يتكون هذا المقطع من ثلاثة أجزاء صوتية (فونيتيقية) هي البداية (onset) والنواة أو القمة (nucleus) والذيل أو النهاية (coda) ويشرف على القمة والذيل القافية (rhym) ويمكن التمثيل لبنية لهذا المقطع على شكل مشجر<sup>9</sup> كما يلي:



- ففي المقطع صُم: يمثل الصاد البداية وتمثل الضمة القمة ويمثل الميم الذيل  
 - في المقطع مُن: يمثل الميم البداية، وتمثل الضمة القمة ويمثل النون الذيل....  
 وهكذا نجد بدايات مقاطع الكلمات السابقة على الشاكلة الآتية: **في البداية:**  
 الصوامت(ص، م، ب، ع، ي) وفي **القمة:** الصائت ( الضمة ) وفي **الذيل:** (م، ن، ب، ن، م، ن)، ونلاحظ أن صائت الضمة يتوسط كل المقاطع وقد سبق أن تحدثنا عن قيمة الضمة المعنوية والدلالية.

كما نلاحظ أن صوامت الذيل، في هذه المقاطع المشكلة للكلمات (مقطعين في كل كلمة)، متشابهة أي: الميم في المقاطع الأولى والنون في المقاطع الثانية باستثناء المقطع الأول من (بُك + من) الذي ينتهي بـ (ك)، بل إن الميم والنون يتشابهان في سمات (التوسط، والجهر، والأنفية). ونجد هذا التناسب أيضا بين صامت البداية وصامت الذيل في المقطعين (صم + من) في كلمة صُم، والمقطع (من) من كلمة بُكْم، والمقطع (عم) من كلمة (عُمي) أي بين بداية وذيل أربعة مقاطع من أصل ستة.  
 ويمكن أن نضيف لهذا التناسب الصوتي العجيب ظواهر صوتية أخرى كالنبر والتنغيم... ودورها الدلالي والوظيفي؛ فقد تؤدي من المعاني ما تعجز عن أدائه الكلمات. ومما لا شك فيه أن الجانب الإيقاعي مهم في قراءة القرآن وكلما تمت العناية به كان مفيدا في إبراز المعاني والتأثير (ترغيبا وترهيبا).

وفي تعاضد الصرف والتركيب، نلاحظ أن هذه الكلمات (صُمُّ بَكْمُ عُمِي) في تركيب جمل اسمية، كلُّ منها خبرٌ لمبتدأ واحد محذوف، تقديره: هُمُ (في تأويل من قدر أن المحذوف هو المبتدأ). و للحدف دلالات، في اللغة العربية، وجمالية، ويقع على الصوت فالكلمة فالجملة . أما مزاياه فنذكر منها:

1- إيجاز الكلام.

2- التأثير على المخاطب و إثارة فكره وخياله بتشغيله لآلية الاستدلال على جزء المعنى المحذوف من الكلام.

3- الزيادة في المعنى وتقوية قدرة الملفوظات على إيصال المعنى المراد.

4- التحقير

وهذه المعاني مقصودة في الآية؛ ونمثل لذلك بالتحقير فقد حذف المسند إليه (هم) الذي يعود على المنافقين تحقيرا لهم (التركيب والدلالة).

ومن دلالات الجملة الاسمية، في أصل وضعها، ثبوت الوصف لموصوفه، و الاستمرار والدوام؛ فالمنافقون والمشركون هم صُمُّ عن سماع الحق سماع تدبر، بَكْمُ عن النطق به، عُمِي عن إبصار نور الهداية؛ لذلك لا يستطيعون الرجوع إلى الإيمان الذي تركوه، واستعاضوا عنه بالضلال. ويمكن أن نشير هنا أيضا إلى التنكير البارز في الكلمات الثلاث والبحث عن دلالة النكرة في اللغة العربية، وربها بالمعنى في الآية.

وإذا انتقلنا إلى الدراسة **الدلالية والتداولية** يمكن أن نقول اختصارا : سنتجاوز الدلالة المعجمية لهذه الكلمات وإن كانت واردة، إلى المعنى المقاصدي الذي أراده الله تعالى في وصفه لحال المنافقين والكفار فهم «صمُّ» لا يسمعون الهدى «بكم» خرس عن الخير فلا يقولونه «عمي» لا يبصرون الهدى فلا يرونه «فهم لا يرجعون» إلى الإسلام و لا يتوبون<sup>10</sup> لأنهم في ضلالة وعماية البصيرة، كما قال تعالى : "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور"<sup>11</sup> فلهذا لا يرجعون إلى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة. ويمكن أن نستثمر في هذا المستوى كل الأمور التي ترتبط بالمقام التداولي: المتكلم، والمخاطب، والزمان، والمكان، والظروف الاجتماعية، والثقافية... في تأويل الآية الكريمة.

### خاتمة:

تبين، من خلال التحليل السابق، أن النص القرآني يتسم بالتميز؛ حيث إن قراءته قراءة تدبر، تقتضي تجاوز نظرة التفريق المتوارثة بين مكونات اللسان، التي أسستها الدراسات اللسانية ومناهج تحليل الخطاب. وقد تجلت لنا تلك السمة بوضوح من خلال الآية الشريفة التي اجتمع فيها ما يسمى في أدبيات لسانيات النص، بالاتساق (البناء التركيبي)، والانسجام (البناء الدلالي - التداولي).

### الهوامش :

- <sup>1</sup> - ابن جنبي: المنصف، شرح كتاب التصريف، تحقيق: إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم. ط: سنة: 1954. ج 1، ص.ص: 324 - 325.
- <sup>2</sup> - البقرة: 17-18
- <sup>3</sup> <http://www.ahlulbaitonline.com/karbala/New/html/research/research.php?ID>  
- =39
- <sup>4</sup> - مصطفى إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط. المكتبة الإسلامية، تركيا. ط 2، السنة: 1772. ص: 516.
- <sup>5</sup> - ابن جنبي، أبو الفتح عثمان: الخصائص. تحقيقك محمد علي النجار. المكتبة العلمية، بيروت. ج 2، ص: 157.
- <sup>6</sup> - الأندلسي، أبو حيان: تفسير البحر المحيط. المحقق: عادل أحمد و علي معوض. الناشر: دار الكتب العلمية، سنة 1993. ط 1. ج 1. ص: 208.
- <sup>7</sup> - البقرة: الآيات (6 و 7 و 8)
- <sup>8</sup> - الحافظ، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. المحقق: سامي السلامة. الناشر: دار طيبة. السنة: 1999. المجلد الأول، ج 1. ص: 175.
- <sup>9</sup> - السغروشي، إدريس: مغل إلى الصوارة التوليدية، دار توبقال للنشر. الطبعة الأولى. السنة: 1987. ص: 66.
- <sup>10</sup> - الحافظ، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. المجلد الأول، ج 1. ص: 189.
- <sup>11</sup> - الحج: 46.